التـــــــركـــــة

(حجرة انتظار فى بيت ولى الله)

(حجرة ذات طابع عتيق. فى الصدر كونصول. باب إلى اليمين وآخر إلى اليسار، تصطف بجوانبها كنبات تفصل بينها كراسى. ثمة حصُر مزركشة معلقة على الجدران فى مواضع محددة)

(يدخل فتى وفتاة. يتفحصان الحجرة باستطلاع من يراها لأول مرة، ثم يقفان فى الوسط)

* * *

الفـتى : البيت صامت كأنه قبر .

الفـتـاة : صفق لتشعرهم بوجودك .

الفـتى : إنه يكره ذلك ، مازلت أذكر طبعه .

(صمت قصير)

الفـتـاة : بيتكم قديم ، والحوارى المفضية إليه شقت فيما يبدو من عهد نوح .

الفـتى : لا تنسى أصلك وأنت تتكلمين عن الحوارى كسائحة .

الفـتـاة : تأدب ، المفروض أننا مهذبون .

(صمت قصير)

الفـتى : لِمَ دعانى يا ترى؟

الفـــتـــاة : هو أبوك مهما يكن من أمر .
الـفـــــتـى : ظننت أن الماضى لن يعود .
الفـــتـــاة : الحاضر يمضى والماضى يعود ، ولا ينبغى لرجل مذنب أن ييأس فأى ذنب يغفر ما دام المذنب رجلا .
الـفـــــتـى : ألم تحلمى يوما بأن يدعوك أبوك ليغفر لك؟
الفـــتـــاة : لو رآنى ساعة احتضاره لغالب الموت حتى يفتك بى .
(الفتى يبتسم من خلال ثوان من الصمت)
الـفـــــتـى : ترى لماذا دعانى بعد ذلك الفراق الطويل؟
الفـــتـــاة : إنك وحيده وللقلب حنينه ، ومن يدرى فلعلك . . .
الـفـــــتـى : لعـــلى؟
الفـــتـــاة : لعلك تذهب مكرما بثروة لم تخطر لك على بال .
الـفـــــتـى : طردنى يافعا ولا مليم فى جيبى .
الفـــتـــاة : ماذا كنت تتوقع جزاء لسلوكك المشين؟
الـفـــــتـى : تشردت وجعت ولولا . . .
الفـــتـــاة : ولولا فجورك لمت جوعا .
الـفـــــتـى : اقطعى لسانك يا بنت الأبالسة .
الفـــتـــاة : ولأنك رجل فكل ذنب مغفور لك .
الـفـــــتـى : ولأنك امرأة فكل ذنب مرجعه إليك .
الفـــتـــاة : أنت صعلوك ولكن تخافه الشياطين .
الـفـــــتـى : فلنتأدب ولو ساعة من الزمان .
الفـــتـــاة : حتى تضحك على الرجل .
الـفـــــتـى : العبى دور الزوجة بإتقان .
الفـــتـــاة : كان عليك أن تجىء وحدك وتتركنى فى سلام .
الـفـــــتـى : لئن أتقدم إليه مصحوبا بزوجتى خير من الحضور وحدى كرجل أعزب محوط بشبهات العزّاب .

الفتاة : لعله يعرف عنك أكثر مما تتصور .
الفتى : لو صح ذلك لما دعانى بإعلان فى الجرائد .
الفتاة : ولكنه ولى من أولياء الله فكيف لم يعرف أنك صاحب خمارة وأنك مغامر ؟!
الفتى : على أى حال فإنه لم يدخل السجن فهو خير من أبيك المرحوم .
الفتاة : تدفعنى إلى استعمال حذائى فى هذه الحجرة العتيقة المباركة .
الفتى : استعمليه ، وسأرد بكسر رأسك ، ونقدم بذلك الدليل على صدق علاقتنا الزوجية .
(صمت)
الفتاة : آه لو يتحقق حلم الثروة !
الفتى : وتتحول الخمارة الصغيرة إلى ملهى ليلى عالمى .
الفتاة : والمغامر الهاوى إلى قواد دولى !
(يكور لها قبضة يده مهددا فتتراجع خطوة وهى تضحك دون إحداث صوت)
الفتاة : الحق أن أباك ذو سمعة طيبة كرائحة الورد .
الفتى : أجل .
الفتاة : ما سألنا أحدا عن بيته إلا ولهج بالثناء عليه .
الفتى : أناس هذه الأحياء طيبون !
الفتاة : ولكنهم يؤكدون خوارقه .
الفتى : إنهم يرون فى الحاوى معجزة .
الفتاة : وينوهون بالطمأنينة التى يزرعها فى القلب .
الفتى : جميع هؤلاء يجيئون إلى هنا ويجودون بنقودهم عن طيب خاطر .

الفــــتـــاة : ربما لأنهم يأخذون ما هو أقيم مما يعطون .

الـفــــتـى : إن قلبك لا يخلو من موطن للخرافة رغم اكتنازه بالشر الباهر .

الفــــتـــاة : وأنت، ألا تذكر يوم تأزمت بالمغص الكلوى؟

الـفــــتـى : كفى عن الثرثرة، الرجل مليونير ما فى ذلك من شك .

الفــــتـــاة : لندع الله أن يكون ذلك صحيحا .

الـفــــتـى : هنا . . هنا ثروة طائلة!

الفــــتـــاة : هنــا؟

الـفــــتـى : أولياء الله لا يتعاملون مع البنوك .

الفــــتـــاة : وعند حلول الأجل يمكن استخلاص التركة بعيدا عن قبضة الضرائب .

الـفــــتـى : ولكن ثمة خطرا أفظع من الضرائب .

الفــــتـــاة : مــاذا تعنــى؟

الـفــــتـى : أعنى من يقومون بخدمته .

الفــــتـــاة : من يخدم أولياء الله؟

الـفــــتـى : الشـــياطين!

الفــــتـــاة : هل تعنى ما تقول؟

الـفــــتـى : أعنى شياطين الأرض .

الفــــتـــاة : من حسن الحظ أنك شيطان وبوسعك أن تتعامل مع الشياطين، هل لك امرأة أب؟

الـفــــتـى : ماتت من زمن بعيد .

الفــــتـــاة : أهو طاعن فى السن؟

الـفــــتـى : جدا .

الفــــتـــاة : هذا يبشر بالخير!

الفتى : لا تحلمى، ماتت أجيال وهو حى يمارس عمله.

الفتاة : لم تعد أعصابى تتحمل الصبر أكثر من ذلك، عليك أن تقابله.

الفتى : بل علينا أن ننتظر، إنى أعرف طبعه.

(صمت. يمشيان ذهابا وجيئة)

(يفتح الباب إلى اليسار. يدخل غلام حاملا مبخرة. غلام جميل يلبس جلبابا وطاقية ومركوبا. يدور فى الحجرة حارقا البخور دون أن يلتفت إلى الفتى والفتاة ودون أن ينبس بكلمة. يقف الفتى والفتاة جنبا لجنب وهما يتابعانه بعينيهما)

الفتى: يا غلام.

(الغلام يكف عن الدوران ويقف قبالتهما)

: هل أنت من يقوم على خدمة الشيخ؟

الغلام : الناس جميعا يقومون على خدمته.

الفتى : وماذا تفعل أنت؟

الغلام : إنى خادم البيت.

الفتى : أنا ابن مولاك.

الغلام : أعرف ذلك يا سيدى.

الفتى : وكيف عرفتنى؟

(الغلام لا يجيب)

: لِمَ لا تجيب؟

الغلام : لَقد أجبت يا سيدى.

الفتى : (باسما) طيب.. لقد جئت ملبيا دعوته.

الغلام : أعرف ذلك يا سيدى.

الفتى : ألا تدرى متى يدعونى إلى لقائه؟

الغلام : لقد كلفنى مولاى أن أخبرك...

الفـــــتى : (مقاطعا) إنى أسألك متى يلقانى؟
الغــــلام : لقـد ذهـب .
الفـــــتى : أين؟ . . ومتى؟
الغــــلام : غادر البيت عقب صلاة الفجر .
الفـــــتى : ومتى يعــود؟
الغــــلام : لـن يعــود .
الفـــــتى : أنت تهذى يا غلام .
الغــــلام : سامحك الله يا سيدى .
الفـــــتى : ولِمَ لن يعود؟
الغــــلام : (مَحنيا رأسه من الحزن) لقد ذهب إلى لقاء ربه .
الفـــــتاة : (جزعة) ماذا تعنى يا شاطر؟
الغــــلام : قال إنه يشعر بدنو الأجل ثم ذهب .
الفـــــتى : ولِمَ لم يبق فى فراشه؟
الغــــلام : نذَر من قديم أن يلقى ربه فى الخلاء .
الفـــــتى : ولكنك تعرف مكانه؟
الغــــلام : كـــلا .
الفـــــتى : ولماذا دعانى؟
الغــــلام : دعاك لتعود إلى بيتك القديم .
الفـــــتى : وهل حملك رسالة إلىّ؟
الغــــلام : قال : دنا الأجل ، آن لى أن أدعو ابنى الضال لعله يصلح لأن يرث التركة .
الفـــــتى : التـركـــة؟ !
الغــــلام : أمرنى أن أسلمك التركة لعلك تثوب إلى رشدك .
الفـــــتى : ليرحمه الله . . أعنى ليمد الله فى عمره .

الفـــــتـــــاة : وأين التركة يا شاطر؟

الـغـــــــلام : قال سيجيء غارقا فى الضلال صاحبا معه قرينة سوء .

(صمت مع تبادل نظرات)

الفـــــتـــــاة : هذا يعنى أنها أيضا فى حاجة إلى نصيب من تركته .

الـفـــــــتـى : ومتى تسلمنا التركة؟

(الغلام يشير إلى حصيرة معلقة على الحائط إلى يمين الكونصول)

الـغـــــــلام : التركة فى خزانة وراء الحصيرة . . هاك المفتاح يا سيدى .

(يتناول الفتى المفتاح ويمضى إلى الحصيرة. يهم الغلام بمغادرة الحجرة. الفتاة تهرع إليه فتقبض على يده)

الفـــــتـــــاة : ابق حتى نتسلم التركة .

(الفتى يزيح الحصيرة. يفتح الخزانة. يأخذ فى إخراج كتب صفراء. ويقرأ بعض العناوين وهو يخرجها ويرصها فوق الكنبة)

الـفـــــــتـى : الحق . . مدارج الروح . . سلام القلب .

(يستمر فى إخراج الكتب التى تتراكم فوق الكنبة ويتهاوى بعضها على الأرض)

الـفـــــــتـى : أين التركـــة؟

الفـــــتـــــاة : (للغلام) أنت سرقتها!

الـغـــــــلام : سامحك الله .

الـفـــــــتـى : (مواصلا إخراج الكتب) أين التركة؟

الـغـــــــلام : لا علم لى بما فى الخزانة .

الـفـــــــتـى : كان المفتاح معك .

الـغـــــــلام : أعطانيه قبل أن يغادر البيت .

(الفتى يواصل إخراج الكتب ثم يصيح بفرح جنونى)

الـفـــــتـى : التــركـــة!

(يخرج رزما من الأوراق المالية ويرصها فوق خوان)

الفـــتـــاة : ثروة طائلة .

الـفـــــتـى : ما أكرمك يا أبى وما أبرك!

الـغــــــلام : إنه يوصيك بألا تنفق منها مليما واحدا قبل أن تستوعب ما فى هذه الكتب .

الفـــتـــاة : الأوفق أن نبدأ باستيعاب هذه النقود .

الـغــــــلام : تلك كانت وصيته .

الـفـــــتـى : شكرا يا غلام ، يمكنك أن تنصرف إذا شئت .

الـغــــــلام : والتركـــة؟

الـفـــــتـى : هل ثمة تركة أخرى؟

الـغــــــلام : (مشيرا إلى الكتب) إنما أعنى هذه التركة .

الـفـــــتـى : ستنفذ الوصية بأمانة .

(الفتاة فى سيرها تدوس على بعض الكتب)

الـغــــــلام : ارفعـى قدمـك .

الفـــتـــاة : تفضل بسلام وكف عن إلقاء الأوامر .

الـغــــــلام : فلأعيدها إلى الخزانة إذا لم تكن بكما من حاجة إليها .

الـفـــــتـى : خير ما تفعل أيها الغلام الأمين .

(الغلام يعيـد الكتب إلى الخزانة. يحملها باحـترام وهو يبكى صامتا. ولما ينتهى يقول بنبرة حزينة)

الـغــــــلام : إنى ذاهـــب .

الـفـــــتـى : مصحوبا بالسلامة .

(ثم مستدركا)

: انتظر، أنت غلام طيب، تحب أن تشتغل عندى؟

الغلام : أى شغلة يا سيدى؟

الفتى : أدربك لتعمل جرسونا ماهرا.

الغلام : فى مقهى.

الفتى : خمارة، وهى أربح للجرسون من عشر مقاه.

الغلام : إنى ذاهب يا سيدى.

الفتاة : مع السلامة.

(الغلام يذهب)

الفتاة : ألا ترى أن نفتشه قبل أن يرحل؟

الفتى : لو كان لصا لما أخبرنا عن التركة.

الفتاة : علينا أن نجد حقيبة لنضع فيها النقود.

الفتى : سنجد حقيبة أو بقجة فى هذا البيت العتيق.

الفتاة : وعليك أن تفكر فى استغلاله.

الفتى : الأفضل بيعه، إنه قديم حقا ولكنه يدر ذهبا لو بيع أرضا.

الفتاة : واشتر بالثمن عمارة، ولنبع الخمارة أيضا لنعيش أحراراً كأبناء الذوات.

الفتى : أفكار طائشة، سوف أنشئ ملهى ليليا يضاهى الأوبرج..

(يظهر رجل عند الباب الأيمن. يلبس جلبابا ومعطفا وهو ذو قامة ضخمة، وطابع رسمى كالمخبرين. يتقدم خطوات حتى يصير على مبعدة قصيرة من الفتى والفتاة اللذين يطالعانه بدهشة. يجيل فى المكان نظرة فاحصة، ويرى النقود المكدسة ثم يعود لينظر إلى الفتى والفتاة)

الفتى : من حضرتك؟

الـــرجــــل : هل أنت ابن ولى الله؟

الـفـــــتـى : نعم ولكن من حضرتك؟

الـــرجــــل : مخبر من قوات الشرطة .

الـفـــــتـى : أكنت على موعد مع الشيخ؟

الـــرجــــل : الشيخ يرقد الآن إلى جوار ربه .

الـفـــــتـى : كيف عرفت ذلك؟

الـــرجــــل : أسلم الروح فى الخلاء، فيما وراء مسكنى، فى الموضع الذى كان يتعبد فيه .

الـفـــــتـى : وأين جثمانه؟

الـــرجــــل : فى المثوى الذى سنمضى إليه جميعا، لم يعد فى حاجة إلى عنايتك، ويبدو أنك مشغول عنه بما هو أهم عندك .

الـفـــــتـى : وماذا تريد حضرتك؟

الـــرجــــل : جئت لأذهب بك إلى القسم .

الـفـــــتـى : لمــــاذا؟

الـــرجــــل : أنت متهم بقتل أبيك .

الـفـــــتـى : دعابة ولكنها ثقيلة .

الفـــتـــــاة : إنه لم يره منذ عمر مديد .

الـــرجــــل : أنت متهم بقتل أبيك .

الـفـــــتـى : كف عن ترديد هذا السخف .

الـــرجــــل : شهدته وهو يحتضر، وأنا أعرفه منذ قديم، صرح لى قبل صعود روحه بأنك قتلته!

الـفـــــتـى : محض افتراء وهذيان .

الـــرجــــل : الميت لا يكذب، وهو ولى من أولياء الله .

الـفـــــتـى : لعلك لم تسمعه بوضوح أو لم تفهم ما يريد قوله .

الــــرجـــــل : قال «إنى أموت مطعونا بيد ابنى الوحيد» .
الفـــــتـــــاة : كان يعرب عن حزنه لفراق ابنه الطويل له .
الـفـــــــتـى : هل وجدت فى جسده طعنة واحدة؟
الــــرجـــــل : لنترك ذلك إلى التحقيق .
الـفـــــــتـى : أى تحقيق يا رجل؟ إنى لم أره منذ عشرات السنين .
الــــرجـــــل : وكيف سولت لك نفسك أن تنهب أمواله قبل أن تراه؟
الـفـــــــتـى : المال ميراثى الشرعى .
الــــرجـــــل : هل علمت بوفاته؟
الـفـــــــتـى : كـــــلا .
الــــرجـــــل : فكيف تمد يدك إلى ماله وهو حى فى ظنك؟
الـفـــــــتـى : وهبه لى قبل مغادرته البيت كما أخبرنى غلامه .
الــــرجـــــل : أين غـــــلامه؟
الفـــــتـــــاة : ذهـــــب .
الــــرجـــــل : استدعه ليدلى بأقواله .
الـفـــــــتـى : لا أدرى أين ذهب .
الــــرجـــــل : هلم معى إلى القسم .
الـفـــــــتـى : لا جريمة هناك ألبتة .
الــــرجـــــل : قتلت أباك وسرقت الدولة .
الـفـــــــتـى : الـــدولة؟
الــــرجـــــل : ألا تعلم أنه لا يجوز التصرف فى هذا المال حتى تأخذ الدولة حصتها منه؟
الـفـــــــتـى : لم يكن فى نيتى أن أتصرف فى مليم قبل أن تأخذ الدولة حصتها كاملة والله على ما أقول شهيد!
الــــرجـــــل : براعتك فى التنكيت تفوق براعتك فى القتل والنهب .

الفـــتى : أؤكد لك أن التحقيق سيسفر عن براءتى .

الـــرجـــل : ولكن سيسبق ذلك القبض عليك والتحفظ على المال .

الفـــتـــاة : أهكذا تعامل شخصا يوم وفاة أبيه؟

الفـــتى : الشيخ الطيب الذى طالما ثبت القلوب بالطمأنينة!

الـــرجـــل : إنك رجل شرير .

الفـــتى : أنت متحامل وسيىء الظن .

الـــرجـــل : كلفت بمهام كثيرة فى مواطن الشبهات فعرفت الكثيرين من أمثالك .

الفـــتى : أنا تاجر شريف .

الـــرجـــل : هلم معى ولا تدفعنى إلى الضحك فى بيت ميت .

الفـــتـــاة : كن لطيفا ودعه فى حاله .

الـــرجـــل : إنك تدافعين عنه كأنك بعيدة عن التهمة!

الفـــتـــاة : أنـــا؟!

الـــرجـــل : أنت شريكته فى الجريمتين .

الفـــتى : أنا برىء **(يتناول رزمة من النقود ويضعها فى يد الرجل)** وهذا المال مالى .

الـــرجـــل : أترشونى يا رجل مرتكبا بذلك جريمة ثالثة؟

الفـــتى : معاذ الله ، ولكننى أؤدى حق الدولة علىّ .

الـــرجـــل : حق الدولة يمثل ربع التركة .

(الفتى يعطيه رزمة أخرى)

الفـــتى : إليك رزمة أخرى دون تعرض لمناقشة المقدار المستحق .

الـــرجـــل : والقضية وتكاليفها؟ . . والتحفظ على المال وتعرضه للضياع؟ .

الفـــتى : أعتقد أننى أعطيت ما فيه الكفاية .

الـــرجـــل : أتعاب المحاماة؟ . . الرسوم؟ . . سجنك؟ . . تعرض عملك الذى ترتزق منه للخسران؟

(الفتى يعطيه رزمة ثالثة)

الـفـــــتـى : تذكر أننى أعطيتك ثروة .

الـــرجـــل : لعل هذا يكفى بالنسبة لك . .

(صمت وتبادل نظرات حائرة)

الـــرجـــل : ولكن هذه السيدة لم تدفع مليما بعد؟

الفـــتـــاة : إنى زوجتــــه .

الـــرجـــل : قلت إننى عملت طويلا فى مواطن السوء فلا تحاولى الضحك على ذقنى .

الـفـــــتـى : لقد أعطيت فدية لكلينا .

الـــرجـــل : بل فدية لك وحدك!

الـفـــــتـى : مـاذا تريــد؟

الـــرجـــل : الأتعاب الخاصة بالسيدة .

(يعطيه رزمة رابعة)

الـفـــــتـى : هاك رزمة رابعة .

الـــرجـــل : كن كريما كسائر القتلة واللصوص .

الـفـــــتـى : أتريد أن تستولى على نصف التركة؟

الـــرجـــل : الأمر يتوقف على مدى تقديرك لحريتك .

(يقطب الفتى فى قهر ثم يسلمه رزمة جديدة)

الـفـــــتـى : تفضل مصحوبا بالسلامة .

(الرجل يدير ظهره ليذهب. الفتى يسل من ملابسه مطواة فيفتح نصلها ويهجم على الرجل. الرجل حذر وكان يتوقع حركة غادرة فيتفادى من الطعنة ويقبض على معصمه فيلويه ثم يلكمه فيسقط على الأرض.)

يجيء بكرسى فيجلسه عليه ويخرج من ملابسه حبلا ويكبله بمهارة قبل أن يفيق من اللكمة، وهو يهدد الفتاة بأنها إذا ندت عنها حركة أو صوت فسوف يساقان إلى القسم. ثم يجيء بكرسى آخر ويأمر الفتاة بالجلوس مهددا ويكبلها بحبل آخر. يتجه نحو النقود على الخوان فيستولى عليها ثم يلفها فى الحصيرة. يلقى عليهما نظرة ثم يذهب).

(الفتى يفيق من أثر اللكمة. ينظر فيما حوله. يتذكر ما وقع. يحاول تخليص نفسه ولكن عبثا)

الفــــتى : ذهب؟

الفــــتاة : بعد أن استولى على النقود كلها . . .

الفــــتى : (غاضبا) لِمَ لَم تصوتى؟ . . كان يجب أن تصوتى بأعلى صوتك .

الفــــتاة : خفت أن يرجع فيضربنا أو يقتلنا .

(يحاول تخليص نفسه مرة ثانية دون فائدة)

الفــــتى : سأقتله ولو اختفى فى بلاد الواق .

الفــــتاة : تهورك هو المسئول عما حل بنا، لِمَ حاولت الهجوم عليه؟

الفــــتى : ليس من مبادئى أن أسمح لإنسان باستغفالى .

الفــــتاة : ها هو قد ذهب بالثروة كلها .

الفــــتى : سيكون التنكيل به هو هدفى الأول فى الحياة .

الفــــتاة : وقد تحقق هدفك ولكن الحلم السعيد تبدد .

الفــــتى : سأقبض على عنقه عاجلا أو آجلا .

الفــــتاة : ولا شاهد أو دليل لدينا عما حصل .

الفــــتى : المهم الآن أن نتحرر من قيدنا .

الفـــــتـــاة : نحن مقيدان فى بيت مغلق النوافذ والأبواب .
الـفـــــتـى : ويعز على أن أتصور أن الثروة حقا ضاعت .
الفـــــتـــاة : هى الحقيقة الأليمة ، وربما تقتله ولكنك لن تسترد مليما من ثروتك .
الـفـــــتـى : لم يعبث بى أحد من قبل .
الفـــــتـــاة : ها قد عبث بك كأنك لا شىء .
الـفـــــتـى : أين المفر ؟ . . إنه يعمل فى دائرة هذا القسم .
الفـــــتـــاة : إذا كان حقا مخبرا .
الـفـــــتـى : ولمَ لا يكون مخبرا؟
الفـــــتـــاة : كان يجب أن تطالبه بإبراز بطاقته الشخصية .
الـفـــــتـى : أعترف بأننى لم أحسن التفكير ولا التدبير .
الفـــــتـــاة : أنت مغرور ، تتوهم أنك إله ثم تقع كالرطل .
الـفـــــتـى : كيف أصدق ما حصل ؟
الفـــــتـــاة : قلبى يحدثنى بأنه ليس مخبرا .
الـفـــــتـى : هو مجرم محترف على أى حال .
الفـــــتـــاة : ويخيل إلىّ . . ربما لم يكن إنسانا أيضا !
الـفـــــتـى : مـاذا تعـنين؟
الفـــــتـــاة : أعنى أننـا فى بيـت ولـى : وهـو وكـر للأرواح والشياطين .
الـفـــــتـى : أنت حمقاء ، لا يسرق النقود إلا إنسان عاقل .
الفـــــتـــاة : تذكر كيف اقتحم علينا المكان وكيف ذهب .
الـفـــــتـى : جاء كما يجىء المجرم وذهب بما يذهب به المجرمون .
الفـــــتـــاة : أنت لا تحسن الرؤيا عند الانفعال .
الـفـــــتـى : أنت حمقاء ، هذه حقيقة مفروغ منها .

الفــــتـــاة : لنفكر فى حالنا، نحن مقيدان بطريقة جهنمية، البيت محاط بفناء واسع يعزله عن الحارة فلن يسمع صوتنا أحد، الجو هنا لا أرتاح إليه. فثمة روح ميت لعله لم يدفن بعد، وثمة أرواح كثيرة لا علم لنا بها ولا سيطرة لنا عليها.

الـفـــــتـى : يا مجنونة، يا مخرفة، ما هذا الهذيان؟

الفــــتـــاة : أنا خائفة.

الـفـــــتـى : عهدتك دائما عربيدة ساخرة فكيف خانتك جرأتك الداعرة؟

الفــــتـــاة : إنه بيت مهجور ألا تدرك ذلك؟ جثة أبيك الآن فى المشرحة وستدفن كجثة رجل مجهول، ولم ينبس المخبر - إذا كان حقا مخبرا - بكلمة، وسيظل البيت مغلقا مهجورا زمنا غير قصير، ولكنه يكفى لقتلنا جوعا وعطشا، وهناك الأرواح.

الـفـــــتـى : الأرواح!

الفــــتـــاة : أنا خائفة..

الـفـــــتـى : كيف قيدنا بهذا الإحكام؟.. لقد جاء مبيتا النية على فعل ما فعل.

الفــــتـــاة : وقد يرجع للإجهاز علينا.

الـفـــــتـى : فليرجع.

(صمت تتخلله محاولة منه يائسة لفك قيده ولكن دون جدوى)

الفــــتـــاة : كأننا فى حلم.

الـفـــــتـى : ولكنه أسخف من الحقيقة.

الفــــتـــاة : أحيانا يكاد يغلبنى الضحك .
الـفــــتـى : اضحكى إن استطعت .
الفــــتـــاة : حتى حياتنا المألوفة بين المغامرين والمنافسين والأعداء أخف وطأة من هذا السجن فى بيت أبيك .
الـفــــتـى : ليرحمه الله .
الفــــتـــاة : ادعه أن ينقذنا .
الـفــــتـى : (ساخرا) أبانا الذى فى المشرحة . . أنقذ ابنك الوحيد .
الفــــتـــاة : ماذا كان رأيك فى أبيك؟
الـفــــتـى : كان دجالا كوحيده .
الفــــتـــاة : حدثونا فى كل موضع عن كراماته .
الـفــــتـى : حارة مخبولة مسطولة .
الفــــتـــاة : لكن الطمأنينة التى بثها فى القلوب حقيقية .
الـفــــتـى : ردى إلىّ ثروتى وأنا أغرقك فى بحر من الطمأنينة .
الفــــتـــاة : لم نكن فقراء، ولكننا لم نعرف الطمأنينة .
الـفــــتـى : وما سبيل الطمأنينة إلى خمارة هى ملتقى للمغامرين، واقعة بين عشرات من الخمارات المنافسة، فى حى مكتظ بالأعداء، ووراء ذلك كله إحساس ثابت بالمطاردة؟! . . كنا سنرتفع بالثروة فوق ذلك كله .

(دقيقة صمت)

الفــــتـــاة : سيجىء الظلام ونحن مكبلون بالحبال فى هذا البيت المسكون .
الـفــــتـى : لا فرق بين النور والظلام .
الفــــتـــاة : كيف نخرج من هذا المأزق؟
الـفــــتـى : اصرخى . . صوتك أحد من الرصاصة .

الفــــتـــاة : لن يسمعنا أحد .
الـفــــــتـى : علينا أن ننتظر حتى يجيء إنقاذ من حيث لا ننتظر أو يجيء الموت .

(صمت تتخلله محاولات فاشلة لفك القيود)

الفــــتـــاة : لمَ دعاك أبوك؟
الـفــــــتـى : مَات سره معه .
الفــــتـــاة : مـاذا ظننت؟
الـفــــــتـى : قلت لعله حنين قلب عجوز .
الفــــتـــاة : لم تقل كل الحق .
الـفــــــتـى : وحلمت بثروة!
الفــــتـــاة : وقد وهبك ثروة .
الـفــــــتـى : وضاعت .
الفــــتـــاة : ولكنه أراد أن ترث عمله .
الـفــــــتـى : فكرة سخيفة .
الفــــتـــاة : كان يجب أن تجاريه ولو فى الظاهر .
الـفــــــتـى : لم يكن ليغير من الأمر شيئا .
الفــــتـــاة : ربما لم يكن حدث الذى حدث .
الـفــــــتـى : أراهن على أنك فقدت عقلك .
الفــــتـــاة : هل حاول أن يلقنك سره وأنت صغير؟
الـفــــــتـى : نعــم .
الفــــتـــاة : ولكنك عصيته؟
الـفــــــتـى : لو أطعته ما صادفتنى فى طريقك أبدا .
الفــــتـــاة : **(تضحك.. ولا تنبس)**
الـفــــــتـى : حاول معى كثيرا ، لم أفهم كلمة من كلماته ، واتخذت من سلوكى المشين سبيلا لتحديه حتى طردنى . . .

الفتـــــاة : واحترفت المغامرة بدلا من الطمأنينة .

الفتـــــى : ورثت عنه الدجل لأستثمره فى مجاله الطبيعى .

الفتـــــاة : لم أسمع أحدا يثنى عليه مثلك .

الفتـــــى : إنى أعاشر مغامرين وكان يعاشر مغفلين .

الفتـــــاة : رأسى يدور .

الفتـــــى : الحياة الحقة نقيض الراحة ، والرجوع إلى الخرافة تفكير مضحك ، لعله ينقصنا شيء ولكن لابد من مواصلة حياتنا ، ماذا تريدين؟

الفتـــــاة : أن أخرج من هنا سالمة .

الفتـــــى : سنخرج عاجلا أو آجلا .

الفتـــــاة : عما قليل سيجىء الظلام .

الفتـــــى : فليجىء الظلام .

الفتـــــاة : أنت المسئول عما وقع .

الفتـــــى : أنت جبانة .

الفتـــــاة : وأنت وغد .

الفتـــــى : فلنتسل بتبادل الشتائم حتى تنكشف عنا هذه الغمة .

الفتـــــاة : أو حتى يحل بنا الموت .

الفتـــــى : أو حتى يحل بنا الموت .

(الفتاة تبكى من القهر. وهو يضحك ضحكة عصبية).

الفتـــــاة : إنه يؤدبك .

الفتـــــى : مـــن؟

الفتـــــاة : أبـــوك .

الفتـــــى : لم يستطع أن يؤدبنى وهو حى ، وهو أعجز عن ذلك وهو ميت .

الفتاة : بين حدث وحدث توجد أسباب خفية .

الفتى : بين حدث وحدث لا يوجد شيء .

الفتاة : وها قد وقعنا فى الفخ .

الفتى : فخ لم ينصبه أحد ولكنا وقعنا بسوء تصرفنا .

(النور ينخفض منذرا باقتراب المساء. لحظات من الصمت ومحاولات فاشلة لفك القيد)

الفتاة : بدأ الليل يهبط . .

الفتى : ليس فى وسع شيء أن يمنعه .

الفتاة : كان فى وسعنا على الأقل . . .

الفتى : **(مقاطعا فى تهكم)** كان يا ما كان . .

الفتاة : أكره الظلام ، أكره الأغلال ، وسوف أجن .

الفتى : جربى الجنون فهو أكرم من الشعوذة على أى حال .

الفتاة : يا لك من وغد قاس كأنك لم تنعم عمرا بحبى !

الفتى : عودى إلى توازنك لنتفاهم كما تفاهمنا دائما .

الفتاة : حتى حبك ما هو إلا حب مغامر ، نوبة من نوبات الأعصاب بلا قاعدة ثابتة .

الفتى : لم يكن ثمة فردوس فى الماضى ، ولن يكون ثمة فردوس فى المستقبل ، علينا أن نتقبل الحياة كما هى .

الفتاة : الظلام يتمادى فى الاقتراب .

الفتى : فليأت الظلام .

الفتاة : إنك تدارى خوفك باللعب بالألفاظ .

الفتى : اللعنة . . فى هذا الوقت من اليوم يبدأ النشاط فى الخمارة .

الفتاة : يا لها من نهاية رخيصة !

(يستمر انخفاض النور حتى يحتوى الظلام الحجرة ويختفى الفتى والفتاة. الفتاة تصرخ مستغيثة ثم يسود الصمت)

الفتاة : ألا تحفظ تلاوة ندفع بها الشياطين بعيدا؟

الفتى : لا أحفظ شيئا .

الفتاة : إنى خائفة .

الفتى : لا يوجد هنا سبب حقيقى يبرر الخوف .

الفتاة : ولكنى خائفة .

الفتى : أنا قريب منك .

الفتاة : ولكنى لا أراك .

الفتى : فلنغن أغنية بذيئة لنهزأ بالظلام .

(الفتاة تصرخ. صمت يتخلله بكاء خافت. ضوء يتسرب إلى الحجرة آتيا من شراعة الباب إلى اليسار)

الفتاة : ألا ترى؟ . . نور فى الداخل، يوجد شخص، البيت مسكون!

الفتى : (بصوت مرتفع) من بالداخل؟

الفتاة : مفاصلى سابت .

الفتى : من بالداخل؟

(يفتح الباب. يظهر الغلام وبيده مصباح. يتقدم ثم يتوقف عندما يرى الفتى والفتاة!

: أنت! . . أكنت بالداخل طيلة الوقت؟

الغلام : ظننت أنكما ذهبتما .

الفتاة : ألا ترانا مكبلين بالحبال؟

الغلام : ولم فعلتما ذلك بنفسيكما؟

الفتاة : هل تسخر منا يا غلام؟!

الفـــــتى : أكنت موجودا بالداخل؟ . . أعنى ألم تغادر البيت؟

الغـــــلام : رجعت مع المساء لأشعل المصابيح .

الفـــــتى : لمـــاذا؟

الغـــــلام : إكراما لروح الشيخ يوم وفاته .

الفـــــتى : ضع المصباح وتقدم لحل عقدتنا .

(الغلام يمضى إلى الكونصول فيضع المصباح ويتجه راجعا نحو الباب)

: يا غـــلام .

(الغلام يتوقف)

: تعـــال .

الغـــــلام : ماذا تريد يا سيدى؟

الفـــــتى : كيف لا تدرى ماذا نريد؟

الغـــــلام : أمرنى الشيخ قبل ذهابه بألا أقدم لك أية مساعدة إذا أهملت تركته .

الفـــــتى : ولكنه غير معقول أن تتركنا على هذه الحال .

الغـــــلام : لا أستطيع أن أخالف لمولاى أمرا .

الفـــــتاة : لا يمكن أن تعنى ما تقول ، إنك غلام طيب ونبيل .

الفـــــتى : وأنا ابن مولاك يا شاطر ولا يرضيك أن تتركنا فى هذا المأزق .

الغـــــلام : لن أعصى لمولاى أمرا .

الفـــــتى : مولاك لم يتصور أننا سنقع فى هذه الورطة .

الغـــــلام : سامحك الله .

الفـــــتاة : لص أثيم نهبَ ثروة مولاك وكبلنا بالحبال .

الغـــــلام : علىّ أن أذهب .

الفتى : لا تغضب مولاك فى قبره .
الغلام : مولاى ارتفع إلى السماء .
الفتى : لا تغضب مولاك فى سمائه .
الغلام : ما دمت لا أعصيه فلن يغضب .
الفتى : أتعتقد أنه يرضيه أن نترك هكذا بدون مساعدة؟
الغلام : لا أدرى .
الفتى : أؤكد لك أن ذلك سيحزنه غاية الحزن .
الغلام : لا أدرى .
الفتى : أقدم ولا تخف .
الغلام : لن أعصى لمولاى أمرا .
الفتاة : من أجل خاطرى، لا يمكن أن تمتنع عن مساعدة امرأة .
الغلام : إنى ذاهب .
الفتى : انتظر، . . ألا ترى، إنى أريد تركة أبى الحقيقية .
الغلام : أنت تعلم بمكانها .
الفتى : ولكنى لا أستطيع الانتقال إليها .
الغلام : سبق أن نبذتها .
الفتى : أنا نادم على ذلك!
الغلام : لن أعصى لمولاى أمرا .

(الغلام يستأنف السير)

الفتاة : على الأقل بلغ الأمر إلى الشرطة .

(الغلام يواصل السير دون مبالاة)

الفتى : هل ستبلغ الشرطة؟
الغلام : كلا .

(الغلام يختفى ثم يغلق الباب)

الـفـــــــتـى : ملعون ابن معلون . .

(الفتاة تعاود البكاء)

الـفـــــــتـى : كفى . . كفى وإلا . .

الفـــــتــــاة : قضى علينا بالهلاك .

الـفـــــــتـى : لقـد رجـع إلغـلام ، وربما رجع مرة أخرى ، ولعل غيره يجىء .

(صمت قصير ثم يواصل حديثه)

الـفـــــــتـى : يخيل إلىّ أن العجـوز استدرجنى إلى بيته لينكل بى . الطيبة كانت حرفته لا طبيعته ، وآى ذلك أننى منحدر من صلبه ، غيـر معقـول أن تكون أمى مسئـولة وحدها عن دمى العـربيـد ، ولبـيت نداءه وأنا فى غـفلة من مكره فتتابعت الأخطاء .

الفـــــتــــاة : كفاك قذفا فالبيت مسكون !

الـفـــــــتـى : مسكون بأرواح أسرتنا العريقة فى الشر .

الفـــــتــــاة : ليس الغـلام غـلاما ولا المخبر مـخبرا . . وسـوف تقع كوارث ليست فى الحسبان .

الـفـــــــتـى : فلتقع الكوارث بغير حساب .

(صمت.. ثم تنزل الستار)

* * *

ترفع الستار . ضـوء النهار يملأ الغرفة رغم أن المصـباح مازال مـشتـعلا. الفـتى والفـتاة نائمـان ورأسـاهما مطروحـان على مسندى الكرسيين.

يسمع صوت الباب الخارجى وهو يفتح ثم وهو يغلق.

يدخل رجل ضـخم أنيق الملبس ولكنا نعـرف فيـه المخبـر فى

ملبس جديد وهيئة جديدة يتبعه سكرتير وضابط من الشرطة. الفتى والفتاة يستيقظان. يبدو عليهما الإرهاق. ينظران إلى القادمين بذهول فلا يعرفان حقيقة الشخص الفخم.

الضابط : من أنتما؟ . . من فعل بكما ذلك؟

الفتى : من حضرتك؟

الضابط : ضابط النقطة .

الفتاة : أنقذنا من فضلك .

(الضابط يحل وثاقهما. يقفان وهما يتأوهان. يحركان أعضاءهما ليستعيدا توازنهما)

الضابط : من أنتما؟

الفتى : أنا ابن صاحب البيت أعنى ولى الله المتوفى .

الفتاة : وأنا الزوجة .

الضابط : ماذا حدث لكما؟

الفتى : هاجمنا مجرم غدرا ثم سرقنا وذهب .

الضابط : سأفتح لكما محضر تحقيق بعد قليل .

الفتى : هل أبلغك الغلام عنا؟

الضابط : أى غلام؟

الفتى : غلام الشيخ المتوفى .

الضابط : كلا ، لقد جئت فى صحبة المهندس لمعاينة البيت الذى يرغب فى شرائه ظنا منا بأنه بيت خال ولا وريث له!

(الفتى والفتاة ينتبهان لأول مرة للمهندس فتلوح فى وجهيهما الدهشة والانزعاج. يتبادلان النظرات ثم يحدقان فى المهندس بذهول)

الضابط : مالك؟

المهندس : لماذا تنظران إلىَّ هكذا؟

الفتى : أنت!

الفتاة : هو . . جسمه وصوته ووجهه .

المهندس : ماذا تعنيان؟

الفتى : أنت دون غيرك ، أيها المجرم!

(ينقض عليه ولكن الضابط والسكرتير يحولان بينهما. المهندس يتراجع دهشا مستنكرا)

الضابط : أي مجرم تعنى؟ . . المهندس أكبر مقاول فى الجمهورية .

الفتى : هو المخبر . . هو اللص . . هو الذى سرقنا . .

(المهندس والسكرتير والضابط يضحكون)

الضابط : اضبط لسانك .

السكرتير : يا لها من نكتة!

الفتاة : هو المخبر .

الفتى : هو المجرم

الضابط : كفى هذيانا!

المهندس : ترفق بهما يا حضرة الضابط ، تذكر كيف قضيا ليلتهما فى هذا البيت .

الفتى : لا تحاول خداعى .

الضابط : إنك تهين رجلا ولا كل الرجال ، رجل أدى لوطنه أجل الخدمات فى ميدان الهندسة .

(الفتى والفتاة يتبادلان النظرات الحائرة)

الفتى : خبرنى يا حضرة الضابط هل عندك مخبر يشبهه؟

الضابط : كلا على وجه اليقين .

المهندس : تمالك نفسك من فضلك، لقد عانيت ليلة غاية فى السوء، وغير بعيد أن المجرم الذى اعتدى عليكما يماثلنى فى بعض الصفات والخصائص، وأنت نفسك تماثل المرحوم أباك فى بعض ملامحه رغم تناقض منهجكما فى الحياة فيما يبدو لى، وسوف يقبض الضابط على المجرم ويرد إليك مالك، هل فقدت مالا كثيرا؟

الفتى : أنت أدرى بمقداره.

الضابط : رجع إلى الهلوسة مرة أخرى!

الفتى : أؤكد لك أن هذا الرجل هو المجرم الذى اعتدى علينا.

الضابط : كف عن هذيانك، من صالحك أن تكف عنه.

السكرتير : ثمة أحقاد غريبة تستقر فى نفوس الشباب، فإذا تعرض أحدهم لهزة نفسية استمد من حقده الدفين آراء هدامة وراح يرمى بها كبار ذوى النشاط الناجح من الرجال الممتازين فى المجتمع.

الضابط : هل أنت من هؤلاء الشبان؟

الفتى : إنى ضحية وقد حللت بنفسك وثاقى.

الضابط : ولكنك لم تسترد عقلك بعد.

المهندس : يجب أن تسترد عقلك سريعا لأتمكن من إنجاز مهمتى.

(صمت قصير)

الفتاة : وما مهمتك؟

المهندس : إنى أرغب فى شراء هذا البيت القديم لأقيم مكانه مصنعا للأجهزة الإلكترونية.

الفتاة : ألم تحاول الاتفاق مع صاحبه قبل وفاته؟

المهندس : حاولت وعرضت عليه بيتا جديدا فى مطلع الحى، ولكن كان لكل منا لغة يستعصى على الآخر فهمها!

الفتى : إذن فأنت تعرف البيت وكنت تعرف صاحبه؟

المهندس : وكان أبى رحمه الله من مريديه أيضا!

الفتى : أنت إذن . .

(الفتاة تجذبه من ذراعه مانعة إياه من تكملة كلامه، وتنتحى به جانبا)

الفتاة : تمالك نفسك

الفتى : لكنه هو عينه .

الفتاة : لندع ذلك للتحقيق، المهم الآن بيع البيت .

الفتى : سيشترى بمالى .

الفتاة : لا يجوز أن تخرج من المولد بلا حمص .

الفتى : الجن الأحمر نفسه لا يستطيع خداعى!

الفتاة : انس شطارتك الآن وأجل مشروعاتك .

(يعودان إلى الجماعة)

الفتاة : اغفر له تهوره يا سيدى المهندس إكراما لذكرى أبيه الطيب!

المهندس : ليرحمه الله رحمة واسعة .

الفتى : أكنت تؤمن به؟

المهندس : كنت أحبه .

الفتى : هل شهدت احتضاره؟

المهندس : لكننى مشيت فى جنازته، أين كنت أنت؟

الفتى : كنت موثقا بحبال المجرم الأثيم.

المهندس : حضرة الضابط كفيل باسترداد ثروتك الضائعة، وما عليك الآن إلا أن تتقبل وضعك بالطمأنينة التى بشر بها أبوك.

الفتى : ولكنك لم تؤمن به؟

المهندس : (ضاحكا) كان يقول لى «الطمأنينة هى هدف النفس البشرية» فأقول له «بل التقدم يا مولانا ولو بالجهد والقلق».

الفتى : ولو بالاعتداء والنهب!

الفتاة : لنعد إلى مشروع المصنع.

المهندس : ثبت الآن أن للبيت وريثا، وعليه فلابد من انتظار الإجراءات الخاصة بإثبات الوراثة.

الفتاة : إنه بيت كبير وذو موضع ممتاز على مشارف الصحراء، ولا تنس أثاثه القديم النادر!

المهندس : لا حاجة بى إلى الأثاث.

الفتاة : والكتب التى صنعت المعجزات؟!

المهندس : لدى ما أحتاج من كتب ومعجزات!

الفتاة : أظن آن لنا أن نتكلم عن الثمن.

المهندس : لن أبخسكم حقكم، وسنتكلم عن ذلك فى حينه.

(المهندس يستأذن فى الانصراف. وقبل أن يذهب يلتفت إلى الفتى ويسأله)

: وأنت.. ما مهنتك؟

الفتى : صاحب خمارة.

المــهــنــدس : (ضاحكا) لست مقطوع الصلة بأبيك، فالناس يقصدون الخمارة طلبا للطمأنينة أيضا.

(المهندس وسكرتيره يذهبان)

(يقترب الضابط من الفتى والفتاة قائلا)

الـضـــــابـط : آن لنا أن نبدأ التحقيق

ســــــتـار